تعلمت من يوسف عليه السلام

تفريغ المحاضرة :

الأولى

سر قصة يوسف عليه السلام

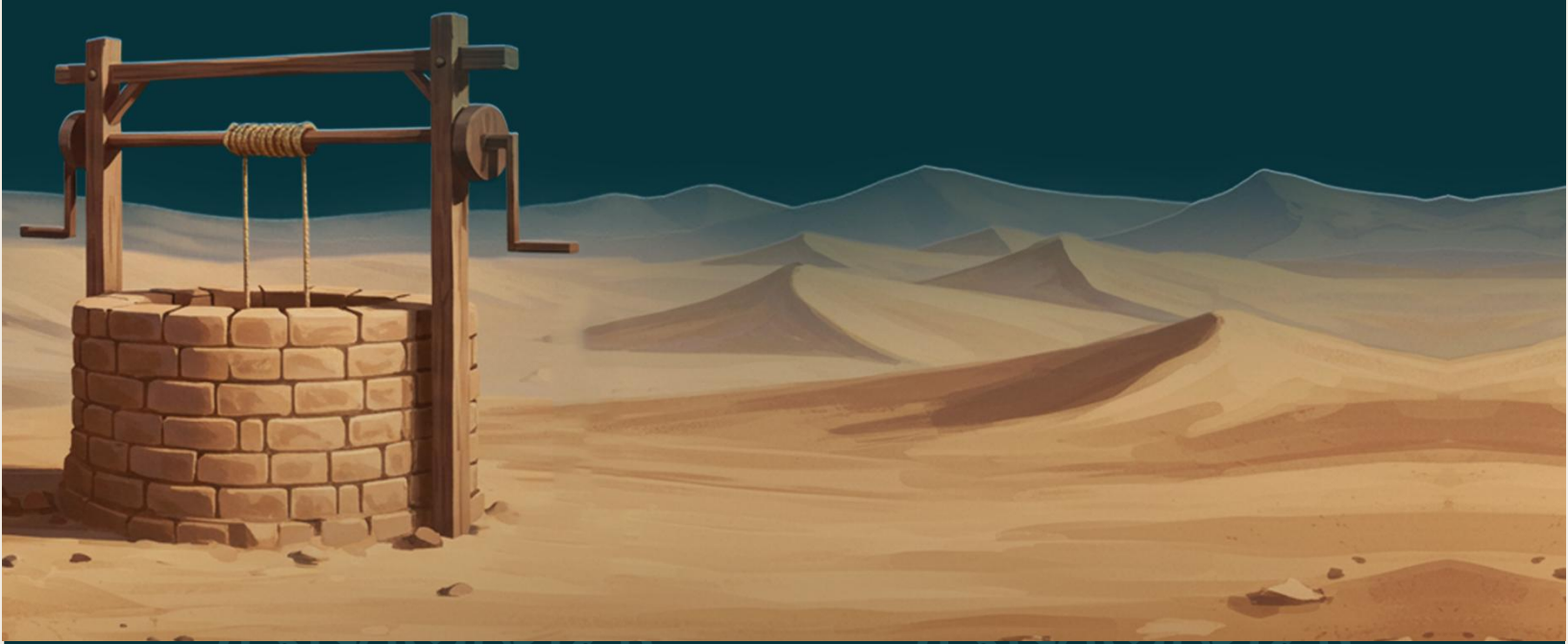

بسم الله والحمد لله ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ . أما بعد،

أهلًا ومرحبًا بكم في اللقاء الأول من السلسلة الجديدة، وسلسلة التدبر الجديدة، والدورة الجديدة، وهي سلسلة "تعلمت من يوسف عليه السلام" أو "تدبر سورة يوسف عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام"

فنسأل الله أن يفتح علينا بخير، وأن يوفقنا لكل خير، وأن يتقبل منا ومنكم صالح الأعمال، وأن يعيننا على عبء تدبر هذه السورة.

الحقيقة، هذا كلام ليس مبالغة، فهو عبء شديد، عبء كبير فعلًا. ونحن داخلون على هذه السورة، وهي ليست كأي سورة، فقد وصفها ربنا بأنها "أحسن القصص" فالموضوع احتاج منا مجهودًا كبيرًا، فنسأل الله التوفيق والتيسير والسداد. اللهم آمين، اللهم آمين.

كالعادة، نبدأ أي سورة أولًا بالاستفتاح بالقراءة، لنأخذ بركة قراءة القرآن، ثم ننتقل إلى معالم السورة وجمالياتها.

سورة يوسف عليه السلام ، هذا هو اللقاء الأول. نبدأ أولًا بالقراءة، ونستعين بالله سبحانه وتعالى، ثم نبدأ بالفوائد التدبرية.

سنقرأ بإذن الله سبحانه وتعالى، وأعتقد أننا اليوم سنأخذ من الآية (1) إلى الآية (6) ، ست آيات فقط سنعيش معها في اللقاء الأول.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ (1) إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (2) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ (3) إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ (4) قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (5) وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (6)

سورة يوسف عليه السلام ، الإنسان حين يتقدم بين يدي هذه السورة، فإنه يتقدم بكل رهبة، فهي تستحق ذلك فعلًا.

سورة يوسف عليه السلام ، أولًا: هي سورة مكية بلا خلاف، نزلت على النبي ﷺ – والله تعالى أعلم – في أصعب فترة في العهد المكي كله، وهي الفترة التي كانت بين موت خديجة وموت أبي طالب، وبين بيعة العقبة الأولى.

وهي الفترة التي شهدت عام الحزن، حيث مرت على النبي ﷺ ابتلاءات شديدة جدًّا. زادت هذه الابتلاءات بشكل كبير.

قبل هذه الفترة بوقت قصير، كان النبي ﷺ قد مرَّ بتجربة شِعب أبي طالب، حيث هجره إخوته، وهجره أعمامه، وهجره أقاربه من قريش.

وكأنما نزلت سورة يوسف عليه السلام لتقول له: "لو كان إخوانك من قريش قد فعلوا بك ذلك وأدخلوك في شِعب أبي طالب، فإن إخوة يوسف قد فعلوا به كذا وكذا."

فكانت سورة يوسف تسليةً لقلب النبي ﷺ ، وكأنها تقول له: "نهاية يوسف عليه السلام كانت التمكين، وإخوته في النهاية تابوا وأنصلح حالهم"

وكأنها أيضًا بشارة للنبي ﷺ ، بأن نهاية هذا الابتلاء ستكون التمكين في النهاية.

" فالمرء لا يُمَكَّن حتى يُبْتَلى "

ونهاية الألم سعة وسرور وفرج من الله سبحانه وتعالى.

وبشارة أيضًا بأن كما تاب إخوة يوسف، فإن الله سبحانه وتعالى قد يبشره بأن الذين فعلوا به ذلك في شِعب أبي طالب إن شاء الله سيتوبون وينصلح حالهم.

وهذا بالفعل ما حدث بعد فتح مكة.

وهكذا، كان هذا مجرد تعرفٍ على هذه السورة الجميلة.

سورة يوسف عليه السلام يُقال – ورد في الآثار – أن سبب نزولها هو أن الصحابة رضي الله عنهم وأرضاهم قالوا للنبي ﷺ ، إنهم يريدون شيئًا من القصص.

فقالوا: "يا رسول الله، هلا قصصت علينا؟" أي: لو هناك مواعظ داخل قصص .

وهذا يدل على أهمية القصص في الوعظ. فالصحابة أنفسهم، رضي الله عنهم وأرضاهم، طلبوا من النبي ﷺ أن يُكثر من القصص، لقوة أثر القصة على القلب والنفس .

قال الصحابة: "يا رسول الله، هلا قصصت علينا؟"

فنزل قوله تعالى:

﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾

ونزلت سورة يوسف عليه السلام تسليةً لقلوب الصحابة وللنبي ﷺ ، وللأثر الهائل للقصة على النفس، وقوة الوعظ بها، حيث تقدم نموذجًا عمليًا مباشرًا، وليس مجرد تنظير.

سبحان الله! لهذا سُمِّيَت "سورة يوسف عليه السلام" بـ "سلوى كل محزون."

فلا أحد يمر بحزن أو ضيق أو همّ – مهما كان – إلا وسيجد في هذه السورة طمأنينة وسكينة، بل وإجابات لكثير من الأسئلة التي تدور في ذهنه.

وربما لا أريد ضرب أمثلة الآن حتى لا نستعجل، ولكن عندما تنتهون معي من تدبر السورة بإذن الله، ستجدون أنها قد أجابت عن كل سؤال حائر في عقل كل واحد منكم.

فلنستفتح الآن بالدعاء:

"يا رب، أعنا ووفقنا لتدبر هذه السورة الجميلة الكريمة."

تفسير الحروف المقطعة في بداية السورة :

السورة بدأت بالحروف المقطعة: ﴿الر﴾

وهناك كلام كثير في تفسير الحروف المقطعة، ولكن أشهر قولين فيها هما:

القول الأول:

هو قول ابن عباس رضي الله عنه وأرضاه، حيث كان يرى أن كل حرف منها يدل على كلمة.

فقال: "ألف لام راء" تعني "أنا الله أرى"، و "ألف لام ميم" تعني "أنا الله أعلم".
وكان يرى أن كل حرف منها يدل على اسم من أسماء الله تعالى.

ولكن كثيرًا من الصحابة - مثل أبي بكر وعمر وغيرهما - كانوا يتوقفون عند هذه الحروف، أي أنهم لم يجزموا بمعناها.

القول الثاني:

وهو ما اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال:

"هذه الحروف لم تأتِ لمعنى في ذاتها، ولكنها جاءت لحكمة عظيمة."

ما هي هذه الحكمة العظيمة؟

تصوَّر معي، القرآن نزل على من؟

نزل على العرب (طبعا هو نزل للعالمين ولكن أول نزوله نزل على العرب) ، وهم أفصح أمة وأقوى جيل في التاريخ في اللغة العربية.

فقد كانت اللغة هي صنعتهم الأساسية، وكانت تُقام لها الأسواق، وتُقام الحروب أحيانًا بسبب بيت من الشعر، وكان للكلام أثرٌ عظيم بينهم. وكانوا قد بلغوا المنتهي في القوة في اللغة.

الحكمة الأولى: لفت انتباه العرب إلى القرآن :

القاعدة تقول:

"أن صاحب الصنعة تلفته الصنعة"

بمعنى: لو أن شخصًا متخصصًا في السيارات جلس في مكان فيه أناس يتحدثون عن الخضروات أو الذهب، فلن يهتم بما يقولون ، لكن إن سمع اثنين يتحدثان عن السيارات، فإنه سينتبه فورًا وسيبدأ بالتركيز معهم.

نفس الأمر بالنسبة لشخص متخصص في مستحضرات التجميل، فهو لن يهتم بحديث عن الطبخ أو الأطفال، لكنه سيلتفت فورًا إن سمع أحدهم يتحدث عن الميك أب وماركاته.

حتى إن دخلنا أي مكان، فسنجد أن بائع النجف ينظر إلى النجف، وبائع السيراميك ينظر إلى الأرضيات، وبائع الأثاث ينظر إلى الأنتريهات.

فالإنسان دائمًا ينجذب لما يتقنه ويفهمه.

» ضع نفسك الآن مكان رجل عربي فصيح، صنعته اللغة، وفجأة يسمع: "ألف واللام و الراء" ، ماذا سيفعل؟ سوف يلتفت فورًا! وسوف يتساءل: "ما هذا؟! هذه جديدة! ماذا تعني ألف لام راء؟ ماذا تعني كاف ها ياء عين صاد؟!" وسيجذبه الفضول ليسمع بقية الآيات.

إذًا، كان الهدف من هذه الحروف هو لفت انتباه العرب لسماع القرآن.

الحكمة الثانية: التحدي والإعجاز :

بعد أن لفتت الحروف المقطعة انتباه العرب، جاءت الحكمة الثانية من ذكرها، وهي التحدي!

وكأن الله سبحانه وتعالى يقول لهم: "الكلام الذي ستسمعونه الآن، والذي لن تستطيعوا أن تأتوا بمثله، ليس مؤلفًا من حروف غريبة عنكم، بل هو من نفس الحروف التي تتحدثون بها يوميًا."

فالقرآن لم يأتِ بألفاظ غريبة، بل جاء بنفس الألف، واللام، والراء، والطاء، والسين، والميم، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والصاد...

ومع ذلك، لن تستطيعوا أن تأتوا بمثله، رغم أن هذه الحروف هي نفس حروفكم

وهي الحروف التي تصنعون منها الكلام.

طيب، هذا كلام رب العالمين. لو جئتم بمثله، فليس كلام رب العالمين، وهذا تحدٍّ رهيب بالنسبة لرجل عربي يستفزه جدًا. هل تعرف ما يشبه ذلك؟

يشبه تمامًا عندما تريد أن تستفز شخصًا وتعجزه، فتفعل ماذا؟ تريد أن تثبت له أنه لا يستطيع أن يفعل ما تفعله، فتقوم بماذا؟

ترمي له الأدوات أمامه وتقول له: "خذ كل الأدوات، خذ أدواتي أيضًا، يلا، هذه الأدوات أمامك، أرني مهارتك، أرني هل ستتمكن من صنع شيء مشابه؟"

فإن تمكنت من الإتيان بمثله، فهذا لك، وإن لم تستطع، فاعترف بعجزك. ولله المثل الأعلى.

وكأن الله سبحانه وتعالى يقول لهم: "هذه هي الحروف، خذوا الألف، اللام، الراء، التاء، السين، الميم، الكاف، الهاء، الياء، العين، الصاد... كلها حروفكم، لم آتِ بحروف جديدة."

لكن في النهاية، بعد هذه الحروف، ستسمعون كلامًا لن تستطيعوا أبدًا أن تأتوا بمثله، ولن تتمكنوا من الإتيان بحديث مثله، ولن تستطيعوا أن تأتوا بعشر سور مثله. فإن لم تفعلوا – ولن تفعلوا – فاعلموا أنكم عاجزون.

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ﴾

التحدي قائم إلى يوم القيامة.

أي رجل عربي يستطيع أن يأتي بمثل هذا النص، فحينها نحن كاذبون. لكن الحقيقة أن الجيل الأول، الذي كان أمهر جيل في اللغة، وقف عاجزًا أمامه.

فمن باب أولى أن يكون من بعدهم أعجز عن المحاولة.

كانوا يعترفون بينهم أنهم لا يستطيعون ان يكتبوا مثله، وكان قائلهم يقول:

"إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه."

الحروف المقطعة كانت تحسم موضوعًا كبيرًا جدًا، وهو أن هذا الكلام كلام الله.

تصوّر أن هذه الحروف وحدها أنهت النقاش تمامًا!

بمجرد أن تُتلى، من المفترض أن يقرّ العربي بأنها كلام رب العالمين، وتنتهي الحجة عليه.

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

هم كانوا يفهمون الآيات، فربنا يخبرهم بأن هذه الآية وحدها كافية، ولكنهم لم يتجاوزوها، فكيف يطلبون آية أخرى وهم لم يتجاوزوا هذه بعد؟

إذًا، القول الثاني في الحروف المقطعة:

يرى أنها ذُكرت للفت انتباه الرجل العربي واستفزازه لسماع القرآن، وأيضًا لتحدّيه واستفزازه، حتى يوقن أنه عاجز عن الإتيان بمثله، فيكون ذلك سببًا في إسلامه.

حتى العرب أنفسهم كانوا من شدة إعجابهم باللغة، يختبئون ليلًا ليسمعوا النبي ﷺ وهو يصلي، ثم يلتقون في الصباح ويعاتبون بعضهم قائلين: "ما الذي جاء بك هنا؟"

فيرد الآخر: "لم أستطع منع نفسي، جئت لأستمع إلى هذا الكلام العربي الجميل."

فيقولون له: "إياك أن تأتي مجددًا."

لكنهم في اليوم التالي يعودون، وفي اليوم الثالث يعودون أيضًا، في مشهد عجيب جدًا.

الحروف المقطعة تتكرر كثيرًا في السور المكية، وعادةً ما يأتي بعدها مباشرة ذكر القرآن، وكأنها تؤكد أن هذا الكتاب منزل من عند الله العزيز الحكيم.

مثال:

﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾

﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

﴿طسٓمٓ * تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

﴿حمٓ * تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾

دائمًا تجد هذا الترابط، لأن هذه الحروف تثبت للإنسان أن القرآن من عند الله.

ثم قال تعالى:

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾

لماذا قال "تلك" وليس "هذه"؟

في اللغة، "تلك" تُستخدم للإشارة إلى البعيد، وكأن الله يبين لنا أن القرآن في مقام عالي أوي لا يمكن الوصول إليه "كتاب عزيز"

القرآن في مكانة عالية، لا تستطيع أن تصل إليه أو تأتي بمثله. كل آية فيه دالة على وحدانية الله، وكل آية تفحم العقل وتدل على الرب الواحد اللطيف الخبير.

﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ أي أنه كتاب واضح، ليس فيه غموض أو ألغاز، بل يوضح العقائد، والأخلاق، والمعاملات، والعبادات، ويبين ماذا يريد الله من العبد، ويخبرنا بأحوال الآخرة، وما يحدث بعد الموت، وكل شيء فيه واضح لا التباس فيه.

عشان كده، كلمة ﴿ٱلۡمُبِينِ﴾ دي استدل بها أهل السنة على أن الأصل في الكتاب أن تجري الألفاظ على ظاهرها. ودي قاعدة عظيمة يستدلون بها في باب أسماء الله وصفاته. لما ربنا يقول عن نفسه إن له يد أو له يدان وله وجه أو له كذا وكذا وكذا من الصفات، فربنا قال إن الكتاب كتاب مبين. و ﴿ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ لا يكون مبينًا إذا كان هناك غموض في الألفاظ دائمًا. **فالأصل أن الألفاظ تجري على معناها الظاهر**، لأن ده من البيان. ليه ربنا يحدثنا بالألغاز؟ فيقول "يد" ولا يقصد اليد، ويقول "عين" ولا يقصد العين، ويقول "وجه" ولا يقصد الوجه، ونقعد إحنا كل حاجة نقولها ونقول: "ليس مراد ظاهرها، ليس مراد ظاهرها، ليس مراد ظاهرها" بدون دليل!

فكيف يكون القرآن كتابًا مبينًا إذا كانت كل الصفات غير مرادة على ظاهرها؟ فلا يحب، ولا يغضب، ولا يضحك، ولا ينزل، ولا يأتي، وليس له يد، وليس له وجه! إذًا، الله يكلمنا بالألغاز؟ وهذا يتنافى مع كونه كتابًا مبينًا، والكتاب المبين معناه أن الرجل العربي لما يسمع الكلمة يفهمها على طول، مش محتاج تفسير.

الراجل العربي يسمع "وجاء ربك"، هيفهم إيه؟ جاء ربك. لما يسمع مثلًا "بل يداه مبسوطتان"، هيفهم إيه المعنى الظاهر؟ يداه.

إذا كان الموضوع كله كنايات وألغاز، لم يكن كتابًا مبينًا. فالأصل إجراء الألفاظ على معناها الظاهر، إلا أن يأتي دليل يدل على أن المعنى الظاهر غير مراد. وطالما ما فيش دليل، يبقى الأصل أني أتعامل بالمعنى الظاهر.

﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ * إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا﴾ ، ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾! خد بقى حتة في العقيدة، عايزين نطلع من السورة دي بكل حاجة، كل أحلامك نحققها في السورة الجميلة دي.

إنا أنزلناه قرآنا عربيًا... يا سلام! قرآنا عربيًا، طب ليه ربنا بيقول لك "إنا" مش "أنا"؟

ربنا أحيانًا يعبر عن نفسه بالجمع، أو يعبر عن نفسه بالإفراد، ولا يوجد تعارض. لما ربنا يعبر عن نفسه بالإفراد، يريد بيان التوحيد، ولما يعبر عن نفسه بالجمع، يريد

بيان العظمة، لأنه تعبير الفرد بالمجموع هو من التعظيم. زي ما أقول لك: السلام عليكم، "عليكم" ده نوع من التقدير. لما أقول لك: "سعادتكم" مش "سعادتك"، لما أقول لك: "قررنا نحن علاء حامد"، أنا عايز إيه؟ أفخّم نفسي شوية. فربنا بيتكلم عن نفسه أحيانًا بالإفراد، زي ما قال لسيدنا موسى في مقام التوحيد:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾

ولكن لو اتكلم عن نفسه بالجمع، يقول:

﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾

هل هو بيتكلم جمع؟ اللي هو أكثر من واحد؟ لا، ولكن الواحد يتكلم عن نفسه بصيغة الجمع لبيان القدر والتعظيم.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾

﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ دليل لأهل السنة على فوقية الله، وأن الله تعالى في العلو، وأنه في ذاته، ذات العلا، فوق عرشه، فوق سماواته، وأنه في العلو سبحانه وتعالى، تمام؟ خلافًا لأهل البدعة. ولو لم يكن في العلو، لما قال ﴿أَنزَلۡنَٰهُ﴾ ، فإنزال الكتاب دلّ على فوقية الله على خلقه، وأنه في العلو سبحانه وتعالى.

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾

الأدلة كتير بقى:

﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾

﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾

الموضوع له أدلة كثيرة عند أهل السنة على فوقية الله.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ ! إذًا، القرآن هو دعوة لإعمال العقل، دعوة لتقدير العقل، دعوة لاستعمال العقل في موضعه الصحيح، لأن القرآن في الحقيقة مليء بالأدلة العقلية:

- الأدلة العقلية على التوحيد.
- الأدلة العقلية على البعث.
- الأدلة العقلية على الرسالة.

زي ما شوفنا: ﴿الٓمٓ * ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ ﴾ ده دليل عقلي على القرآن، تمام؟ ودليل على الرسالة:

﴿فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

صح؟ دليل البعث؟ مثلًا:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾

تمام؟ فدليل التوحيد العقلي:

﴿أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

دعوة لاستعمال العقل في التأمل، في النظر، في التدبر، في التفكر. لكن للأسف، البعض استعمل العقل عكس المطلوب منه! يُعمل العقل في الحكم على النصوص، يقول لك: "النص ده مش جاي معي"، يبقى نؤوله، يبقى ننكره، يبقى نضعفه! لا، ده مش دور العقل.

الأول، بنشوف: لو القرآن، خلاص هو قرآن، حد بيدور وراه؟! لو سنة، بنشغل العقل في معرفة الصحيح والضعيف، بعد ما عرفنا إن ده حديث مقبول، يبقى على طول، ما فيش غير أني أقبله، أقبل الحكم، أقبل العقيدة وأصدقها، وأعمل بالحكم. إنما بعد كده أقول: "أدخل عقلي"؟!

لا، أصل دي مش مقنعة، طب نأولها؟ نبدلها؟ فنغيرها؟ إحنا كده أهنّا العقل! العقل أصلاً المفروض يوصلني إلى أن ربنا على كل شيء قدير، ما فيش حاجة اسمها تقولي في حاجة في العقيدة مش موافقة للعقل، أنا مش بقيس على قدرتي، أنا بقيس على قدرة الله، والله على كل شيء قدير. والعقل بيقول إن ربنا حكيم، فمش هدخل عقلي في الأحكام وأقول: "هو عاجبني ومش عاجبني"، ده جاي من عند الحكيم، أنت فاهم أو مش فاهم دي مشكلتك الشخصية!

العقل مش مكانه إنه يحكم على الأحكام بعد ثبوتها، أو يقبل العقائد أو يرفضها بعد ثبوتها! لكن دعوة للعقل في إثبات النص، اللي هو نص ثابت، ثم التفكر في النص، والتأمل فيه، والتأثر به، والعمل، واستنباط الأحكام.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾

ثم قال تعالى: "نحن" نرجع تاني لـ "نحن" للتعظيم:

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾

﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ خلينا نتكلم على مستويين:

القصص عمومًا: عموم القرآن، وقصص القرآن هي أحسن القصص.

خصوصًا قصة يوسف: قصة يوسف هي أفضل قصة في القرآن بلا شك، تمام؟ وده له أسباب هنقولها دلوقتي، لكن خلينا الأول نتكلم في العموم، وبعد كده في الخصوص.

لماذا قصص القرآن هي أحسن القصص؟

وأنها أفضل من أي قصص تانية، سواء قصص أهل الكتاب المحرفة طبعًا، أو قصص البشر، أو أي قصص خلاف القصص اللي جاية مع الوحي.

تعال نقارن ما بينهم في كذا حاجة:

1- الاختصار وعدم الاستطراد :

قصص القرآن يتميز بالاختصار وعدم الاستطراد في التفاصيل التي ليس لها فائدة، أما قصص البشر، فبيحصل فيها استطراد رهيب! ممكن تلاقي مثلًا قصة في القرآن سطرين، لو اتحولت لقصة مكتوبة أو مسلسل، بتقعد عشر حلقات! السطرين دول يتوسعوا في كلام وأخذ ورد واستطرادات.

تلاقي القرآن يعرض عن كل التفاصيل التي لا تفيد في الغاية اللي عايزينها، لأن الغاية مختلفة.

قصص الناس اللي يكتبوا قصص، عايزين يعملوا حبكة درامية، ويشدوا الناس، ويعملوا جذب ومشاهدات، حتى لو حطوا تفاصيل مالهاش لازمة. أما القرآن، فالقصة مختصرة جدًا، سطرين تلاتة، نقعد نتكلم فيهم أيام وليالي من عظم الكلام اللي فيها،

يبقي الإعراض عن التفاصيل التي ليس لها فائدة، والتركيز على المحتوى والخلاصة والدافع الذي يخدم القضية اللي هنتكلم فيها.

2- الصدق :

الفرق في الصدق بين قصص الله والنبي ﷺ أنها حق لا ريب فيه، أما قصص الناس، فمعظمها مليء بالأكاذيب. ممكن أصل القصة يكون كذب من البداية، وأحيانًا يكون أصل القصة صحيح، لكن يتم ملؤها بتفاصيل لم تحصل، فقط لأجل الحبكة الدرامية. زي ما تشوف في المسلسلات، لما يعملوا مسلسل عن صحابي أو عن سيدنا يوسف، كمية أحداث محرفة، ولا حصلت أصلًا، بس لازم يضيفوا علشان الحبكة الدرامية!

فقصص الله كله صدق، مفيهوش حرف زيادة أو شيء لم يحدث، أما قصص الناس، فمليانة بتفاصيل ليس لها فائدة.

3- التركيز على القيم والإصلاح :

نجد أن قصص الله سبحانه وتعالى ركزت على ما ينصلح به العبد في دينه ودنياه. القصص في القرآن تركز على:

- الحقوق والواجبات
- معاني التوحيد (مثل) ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ﴾ فهو دائمًا يربطك باسم من أسماء الله الحسنى.
- بالدار الآخرة ﴿وَلَأَجْرُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾
- بالأعمال الصالحة ﴿إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

كل هذا يربطك بأعمال القلوب، بأسماء الله وصفاته، وبالتذكير بالدار الآخرة.

غاية القصة في النهاية توحيد الله، والدار الآخرة، وإصلاح القلوب، وفي النهاية القصة تستهدف قلبك، وتعطيك العبرة والموعظة، لأن الله قال:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾

أما القصص الأخرى، فهي حديث يفترى، وغايتها الشهوات. فنجد أغلب القصص تدور حول (الشهوات ، الجنس ، المخدرات ، القتل ، الدعارة ، المشاكل الزوجية)

وفي النهاية، أنت لا تفهم الغاية من القصة! مجرد مأساة طويلة، وفي النهاية، قد لا تجد عبرة، بل العكس! أحيانًا تجد أن القصة تجعلك تتعاطف مع الشر، أو أن الشر هو الذي ينتصر في النهاية!

طيب، قولي مسلسل شفته فزاد إيمانك؟ مستحيل!

قولي فيلم شفته زاد ارتباطك بالدار الآخرة؟

قولي أغنية سمعتها أو رواية هابطة قرأتها، فزادت محبتك لله والتوحيد؟

لا! إنما ستزداد معلومات كثيرة عن الدعارة، والجنس، والجرائم، والمشاكل الزوجية، وقبح الزواج، وحلاوة "المشي الشمال"، والطلاق الجميل!

وده اللي بتطلع به! وده بياخدنا لـ (الفرق الرابع)...

4 - الفرق الرابع بين قصص القرآن وقصص الناس.

هنفترض أن قصص غير الله هتنتهي نهاية سعيدة فرضًا، مع أن ده مش بيحصل دايمًا، وهتنتهي بأن الخير انتصر على الشر، مع أن ده مش موجود دلوقتي. تمام؟ طيب، تعالَ نشوف إزاي وصلنا هنا وإزاي القرآن بيوصلنا لنفس النتيجة.

قصص الناس: أنا أقول لك على مصيبة بتحصل في قصص الناس، بس أنت ما بتأخدش بالك من ده. لو شفنا مسلسل، خلينا نقارن بين مسلسل ، لأن المسلسل قصة. اللي بيحصل إن إحنا تسعة وعشرين حلقة. تسعة وعشرين حلقة! جرائم، مخدرات، تفاصيل التفاصيل في الأكل، في الزنا، في الخيانات الزوجية، في الإفساد، في الشر، في السجون. تمام. بعد كده، آخر حلقة البطل بيخلص، آخر حلقة يضرب ويجيب حقه، والتاني ده اتسجن، وده قتل نفسه، وبتاع، فنفرح به، واتأثرنا، والخير انتصر على الشر. حلو، طيب.

نضرب مثالًا لمسلسل واقعي حصل: مسلسل "الأسطورة" لمحمد رمضان. المسلسل انتشر انتشارًا ضخمًا جدًا، وفي الآخر فعلا الخير انتصر على الشر في آخر حلقة. طيب، الشباب بعد مسلسل محمد رمضان حصل إيه؟ حصل إنهم طلعوا بالحلاقة بتاعته، بالألفاظ اللي قالها، بالصياغة اللي حصلت في المسلسل كله، وما فيش أي حد طلع من المسلسل تاب بسبب آخر حلقة. ليه؟ أقول لك بقى ليه؟ عشان ده يبين

لي روعة القرآن، لأن الإنسان يتأثر بما يتعرض له أكثر، ولو كان خطأً. فلو أنا بشوف تسعة وعشرين حلقة شر، وحلقة خير، أنا هطلع بالشر، مش هطلع بالخير.

فهمت حاجة؟ لو أنا بتفرج على تسعة وعشرين حلقة مخدرات، ودعارة، وخيانات زوجية، وبتاع، وفي الآخر الخير انتصر، فرضًا، أنا هطلع بإيه؟ هطلع بحفظي للخيانات وعايز أعملها، حفظت المخدرات وعايز أشربها، حفظت الألفاظ وعايز أقولها، ده اللي بيحصل! لازم تطلع مسلسلات بالأفيهات، والشمال، والسلاسل، والمخدرات. ما حدش طالع بالخير اللي حصل في آخر حلقة، بس!

ولكن طريقة القرآن البديعة: الإعراض عن تفاصيل الشر، والتركيز على تفاصيل الخير. تعالَ كده أقول لك مثال: سورة أو قصة موسى عليه السلام. إزاي اتعرضت؟ في سورة القصص، ربنا قال إيه؟ قال: (نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ). هيتطرح دلوقتي، إيه اللي هيتقال؟

(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)

الآية دي، لو اتعملت مسلسل، هتأخد تسعة وعشرين حلقة! تسعة وعشرين حلقة تفاصيل: هو كان بيقتلهم إزاي؟ النسوان كان بياخدهم إزاي؟ بيعذبهم إزاي؟ ويغتصبهم إزاي؟ ويقعدوا بقى ستمائة حلقة في مشهد الاغتصاب! لكن القرآن خلّص الشر كله في الآية دي.

طب تعالَ لي بقى في الخير. يلا بقى، واحدة واحدة:

(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ)

واستطراد رهيب جدًا في تفاصيل الخير. طيب، كل تفاصيل الخير بقى. مثال تاني: قصة يوسف عليه السلام:

(وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)

هو ده مشهد الشر في الآية دي. وبعد كده، لو المشهد ده اتعمل في مسلسل، هياخد حلقتين! تفاصيل بقى: عملت إزاي؟ ولبست إيه؟ وبصّت له، وبصلها، مشكلة بقى! ده الفرق!

من الفروقات أيضًا:

» (الغاية)

غايات القصة في القرآن: القلب، صلاح الإنسان، صلاح دينه، صلاح دنياه، علاقته بالله، علاقته بالدار الآخرة.

غايات القصص الأرضي: الشهوات، والمشاهدات، بغض النظر بقى عن القيم والثوابت. إنما اللي بيجيب مشاهدات هو ده اللي يتعمل! زمان، مثلًا، كان الطبيعي إن الأفلام اللي بتجيب مشاهدات هي اللي الخير انتصر فيها على الشر.

دلوقتي ما بقاش كده! خلي بالك، دلوقتي ترند الناس إن في الآخر الشر يفضل، ونتعاطف معاه. فالمسألة مبنية على الأهواء، ما فيش قيم، ما فيش ثوابت. بالتالي، أنا ممكن أودّيك وأجيبك زي ما أنا عايز!

» (الأثر)

في النهاية، أنت شفت أفلام كتير، ومسلسلات كتير، وحكاوي وقصص كتير، لكن للأسف، ما حصل فيك التغيير اللي تحبه، إنك تتعلق بدار الآخرة، وصلاح قلبك، وصلاح دينك، وإقبالك على العبادة.

وقل لي: تأثير سورة واحدة من القرآن في نفس الاتجاه على صلاح قلبك، وإقبالك على العبادة، عشان تعرف ساعتها إن فيه: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ فهمت حاجة؟

طيب، تعالَ بقى نخش على قصة يوسف عليه السلام بالذات، إن القصة تُظهر أحسن القصص في أحسن القصص، يعني أحسن قصة في القرآن بلا شك.

هي طبعًا تفاصيلها كبيرة جدًا، قصة كاملة من أولها لآخرها بكل تفاصيلها، تمام؟ طبعًا القصة مؤثرة جدًا، يعني بكل المعايير.

فكده البعض يقول لك إيه؟ هقول لكم على كام حاجة كدا، هقولها على سبيل ذكر بعض اللطائف.

قال بعضهم في أحسن القصص: ما اشتملت على حاسد ومحسود، وعاشق ومعشوق، ومالك ومملوك، وشاهد ومشهود، وحابس ومحبوس، وخصب وجدب، وحزن وفرح، وفقر وغنى، ومنام ويقظة. والبعض قال لأنها اشتملت على الحب والحسد، الفراق واللقاء، الصبر والندم، العفو والبغض.

والبعض قال إنها أحسن القصص: لأنها اشتملت على جميع أنواع التنقلات من حال إلى حال: من المحنة إلى المنحة، ومن الذل إلى العز، ومن الرق إلى الملك، ومن الفرقة والشتات إلى الاجتماع والائتلاف، ومن الحزن إلى السرور، ومن الجدب إلى الرخاء، ومن الضيق إلى سعه.

(بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) الله أكبر (وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ)

يعني إيه "غافلين"؟ ليه ربنا وصف النبي ﷺ بأنه كان من الغافلين؟

ربنا فسرها في آخر سورة الشورى، فقال: (وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ). "ما كنت تدري ما الكتاب" يعني ما كنت تعرف التفاصيل. يعني النبي ﷺ ، كلمة "غافل" تعني أنه لم يكن يعلم، وهذا لا يُعاب عليه، بل لم تصله الرسالة بعد.

وكلمة "ضال" تحتمل معنيين:

الضال: الذي لا يعرف الحق، كما يقال: "ضل الطريق".

الضال: المعرض عن الحق.

فلما ربنا وصف النبي ﷺ بأنه كان "ضالًّا"، فالمقصود هو المعنى الأول، أي الذي لم يكن يعرف الحق، وليس معرض عن الحق. وبناءً عليه، النبي ﷺ لم يكن جاهلًا بالحق تمامًا، لكنه كان يعرف بعض الحق.

بدليل انه ﷺ كان في الجاهلية على التوحيد، على طريقة إبراهيم -عليه السلام-. لم يسجد لصنم، لم يشرب الخمر، ولم يزنِ، ولم يرتكب أفعال الجاهلية. كان يعلم بعض

ما بقي من ملة إبراهيم، لكن لم يكن يعرف تفاصيل العبادات، مثل: كيف يصلي؟ كيف يصوم؟ ما الذي يحدث بعد الموت؟

يعني لم يكن يعرف تفاصيل الدار الآخرة أو تفاصيل العقيدة، مثل: الإيمان بالله، واليوم الآخر، والملائكة، لكنه كان مؤمنًا إجمالًا، وكان على التوحيد والاستقامة، وكان يبتعد عن المحرمات إجمالًا. لكنه لم يكن يعرف التفاصيل الطهارة، التيمم، الغسل، وغير ذلك. إذن، هذا هو معنى "الغافل" أو "الضال" في حقه ﷺ .

ثم تنتقل القصة إلى: (إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ) الله أكبر! مباشرةً دخلت السورة في الهدف:

(إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ)

(قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ).

هنا نلاحظ أن السورة بدأت بمشهد واحد فقط، مشهد يعقوب ويوسف ـعليهما السلامـ ، ثم بدأت القصة بداية أخرى:

(لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ).

ما أهمية هذا المشهد الأول؟

عندما نحلله، نجد أنه هو عمود القصة كلها، لأنه **يوضح كيف ربى يعقوب ـعليه السلامـ يوسف، وكيف أسس شخصيته وأصّل المبادئ فيه.**

أول ملاحظة:

يوسف ـعليه السلامـ رأى منامًا، وأول شخص فكر أن يحكي له كان والده!

وهذا ملفت جدًا، لأن معظم الشباب اليوم لو رأى منامًا، قد لا يحكيه لأبيه، إما لأن الأب مشغول، أو قد يسخر منه، أو قد لا يهتم أصلاً.

لكن يعقوب ـعليه السلامـ لم يكن هكذا. كان حانيًا، مستوعبًا، محتويًا، متفهمًا، يسمع ليوسف، ويحترمه ويصدقه.

لذلك، عندما فكر يوسف ـعليه السلامـ فيمن يخبره بمنامه، اختار والده أولًا، وليس صديقًا أو أي شخص آخر!

وهذا يدل على مدى القرب بين يوسف وأبيه، وأن الأب يمكن أن يكون أقرب من الصديق إذا أحسن معاملة أبنائه. وهذه هي بداية تكوين الشخصية السوية ليوسف ـ عليه السلام-.

أبٌ سوى فاهمٌ دوره التربوي، يعطي كل مشاعره وحنانه وقلبه واحتواءه وعطفه للابن، لا يتعامل بأسلوب عسكري، لا يصدر أوامر وكأنه في الجيش. ونلاحظ هنا أنهما يجلسان وحدهما، صحيح؟

بدليل إنّ لا أحد سمع عن المنام، وقال له: (لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ) ، رغم أن الأب لديه عدة أبناء، فهناك أحد عشر غير يوسف عليه السلام، ومع ذلك لديه طاقة وسعة ليجلس مع كل واحد منهم بمفرده.

لو أن شخصًا لديه اثني عشر ابنًا، فقد يكتفي برؤيتهم على الغداء، في الاجتماعات، أو خلال السفر.

أما يعقوب عليه السلام، فكان لديه الاستعداد للجلوس مع كل واحد منهم، لسماعه لقصة طويلة، والصبر عليه، وتقديم المواعظ والنصائح، وتحليل كلامه، ويفهمه الخطأ من الصح.

هذا ما نفتقده في بيوتنا!

نفتقد الجلسة الخاصة بين الأم وابنتها وابنها، بين الأب وابنه وابنته، الجلسة الخاصة!

أغلبنا يعتقد أنه تمام اوي إذا كان كويس بشكل عام، حتى الأشخاص الذين يرون أنفسهم نماذج جيدة، لكن حين يقارنون أنفسهم بيعقوب عليه السلام، سيجدون أنهم ما زالوا بعيدين.

الأم الكويسة فعلا هي التي تغلق الباب وتجلس مع ابنتها، وتتحدث معها بارتياح، تسألها عما حدث في المدرسة، وما قالته صديقاتها، وتوجهها بلطف: "انتبهِ لهذه النقطة، سيكون أفضل لو فعلتِ ذلك، من الأفضل كذا..."

تستخرج ردود أفعالها، لتتعرف على شخصيتها أكثر وتربيها بشكل أفضل.

والأب يجلس مع ابنه قائلاً: "احكِ لي، ماذا حدث؟"

فيشعر الابن بالأمان، يأتي ليحكي لوالده دون خوف، لأنه يعلم أن والده لن يصرخ عليه، أو يضربه، أو يهينه، أو يسخر منه. الأب يحبه، فيخبره بما حدث في النادي، في الجيم، مع أصدقائه.

والأب يستمع بحب، يتلطف معه، يلاحظ الأشياء الجيدة التي يقوم بها ويثني عليه، وفي الوقت ذاته يحذره من الأخطار، فيحب الابن الحديث مع والده لأنه يشعر أنه داعم له وصديقه المقرّب.

(المجلس الخاص)... الخاص وليس العام!

كل ابن له وقته الخاص مع والده، ليتفهمه جيدًا.

هذا النموذج الصحيح في التربية، ومن لا يطبقه، فهناك طريق طويل أمامه للوصول إليه.

لقد تكررت هذه المجالس في حياة الأنبياء والصالحين.

مجلس خاص بين إبراهيم عليه السلام وابنه إسماعيل:

(يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى؟)

فيرد إسماعيل:

(يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ).

مجلس خاص بين لقمان وابنه:

(يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ...)

(يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ...)

هذه القعدة الودّية، القعدة اللطيفة، اللي ما فيهاش أوامر

جلسة حب، وأُنس، وجمال بين الأب وابنه.

ومن أهم صفاتها الرُّقِيّ في التعامل!

التخيل هنا مذهل!

الابن ينادي والده بـ "يا أَبَتِ"، ويرد الأب عليه: "يا بُنَيَّ".

لم يقل له: "يا ولد!" بل "يا بني، أنت مني وحبيبي".

كيف تطلب من ابنك أن يحترمك وأنت تقلل منه طوال الوقت؟

كيف تريد منه أن يعاملك بأدب وأنت تشتمه بأبشع الألفاظ عند أقل خطأ؟

ابنك يسمعك طول اليوم تقول له: "يا كلب، يا حيوان"، أو لابنتك: "يا جزمة، يا غبية، يا حمارة"، ثم بعد ذلك تطلب منه أن يحترمك، ويقف عند الحديث معك، ويقبّل يدك، ويناديك بـ "يا أبتي"؟!

الابن مرآة الأب! الأبنة مرآة الأم !

إذا كانت الأم سليطة اللسان، نمّامة، أنانية، فكيف ستكون ابنتها؟

إذا كانت تعامل زوجها بأسوأ أسلوب، فكيف ستعامل ابنتها زوجها في المستقبل؟

ثم تأتي الأم لاحقًا محاولةً إصلاح علاقة ابنتها بزوجها، فتكون كمن يخدع نفسه!

ابنتك هي مرآتك!

إذا أردت من ابنك أن يكون محترمًا، فعليك أن تكون محترمًا أولًا!

ابنك صفحة بيضاء، يجب أن يرى بيئة مليئة بالاحترام داخل المنزل.

إذا رأى والده يحترم أمه، يخاطبها بأرقّ الكلمات، إذا رأى كيف يتعامل مع أخته بحب، ويلاطفها، فسيصبح كذلك.

أما إن نشأ في بيت يسمع فيه الإهانات والشتائم، ورأى الأب يصرخ في وجه ابنه، والابن يرفع صوته على والده، فسيعتقد أن هذا هو الطبيعي!

لكن في البيت الذي يتعامل فيه الجميع باحترام، سيستغرب إذا رأى غير ذلك، سيتساءل: "لماذا لا يحترم الناس آباءهم؟ لماذا لا يحترم الأبناء آباءهم؟"

فلن تجد بيت يُقال فيه "يا أبتي"، إلا البيت الذي قيل فيه "يا بني".

يلاحظ هنا أن يوسف عليه السلام بيحكي فعلًا حاجة غريبة. لو أبٌ ثانٍ غير يعقوب عليه السلام كان أخذ الموضوع بسخرية، وكان ممكن يقول كلمة مالهاش لازمة لابنه وهو بيقول له كده. يقول لك: "أقول لك إيه؟! انت هتقعد تقول لي كواكب وشموس

إيه يا عم؟ منام إيه! هي ناقصاك؟ بقول لك إيه، مش ناقصة مناماتك هي! خلاص! طب ما أنت أحبطتني، أمال لو كلمتك بقى في أحلامي وطموحاتي؟"

وانت بتكسر فيَّ، أقول لك يا بابا نفسي ابقي ..." هيقول لي: "يا ابني، انت مالكش لازمة!" والبنت تقول لي: "يا بابا، نفسي أعمل كذا وبتاع..." هيقول لها: "إنتِ بنت، وآخرك إنك هتقعدي في البيت وتدخلي المطبخ!"

طيب، كده عايز ابنك يبقى بني آدم إزاي؟! ده مجرد ما بيحكي لك حكاية، أو يقول لك حلم من أحلامه أو هدف من أهدافه، بتمسكه تهزّقه. مش هيقول لك تاني ومش هتعرف هو بيعمل ايه بعد كده، وهيكبر ومش هتعرف هو فين، خرج فين، وجه منين؟ اشتغل إيه؟ وجاب الفلوس دي منين؟ ولا هيقول لك! خلاص... كان من زمان، كنت زمان أنت لم تعطيني الأمان إن أنا أتكلم معك أصلًا!

أنت ما احتوتنيش، ده أنت المفترض كنت تقدر كلامي حتى لو بقول عبط، أنا آسف! أنا لو بقول عبط، كنت تقدر كلامي، أنا كنت صغير ما بفهمش. أنا لازم لما أقدّر كلام ابني، أقدّره على مستواه هو، مش مستوايا أنا. معلش، ما أنا ممكن بنتي تيجي تقول لي كلام فعلًا مالوش أي لازمة، هو بالنسبة لي ممكن أقلبها سخرية، بس هي بتحكي، وهي متعصبة، وبجدية، ومحموقة، وبتقول: "حصل كده وعملت لي كده وبتاع..." لازم أتعامل بمستوى الكلام ده، بمستوى فهمها هي، مش مستوى فهمك انت، لأنها شايفة الموضوع كبير، وشايفة الموضوع مهم جدًا.

انت شايف الموضوع تافه؟ هو فعلاً تافه بالنسبة لك أنت ، لكن ما كانش تافه بالنسبة لها، فلو أنت قلت لها إن الموضوع ده تافه، مش هتيجي تحكي لك تاني. وهتعرف لما تلاقي ولادك ما بيجوش يحكوا لك حاجة، أعرف إن انت ما دّتهمش الأمان وما قدّرتش كلامهم.

ألست عليهم كذا مرة قفلوا منك، حكوا لك كذا مرة يمكن حاجات عبيطة حصلت معاهم في المدارس، كان المفروض رد فعلك يكون: "إيه اللي حصل؟ احكي لي، طب إزاي يحصل كده؟ لا لا لا، ما ينفعش أبدًا! وانتِ عملتِ إيه؟ وتعالي، وهاتي حضن، حبيبتي، أنا مقدّر قوي الموقف اللي انتِ أخذتيه، وانتِ صبرتي كتير واستحملتي كتير، مع إن أكتر الكلام يعني هوًا، بس أنا بتكلم بدماغه هو، مش دماغي أنا!"

ابنك ساعتها هييجي يحكي لك كل حاجة، هيقول: "أبويا ده لما بحكي له، بيقدرني، بيرفعني فوق، فعلًا بيحترم كلامي!" هو لا إراديًا هيلاقي نفسه عايز يحكي لك. معلش، انت لو ابنك جالك حكى لك نفس منام يوسف عليه السلام ، وانت مش عارف قصة يوسف عليه السلام، هتألّس عليه وتقول له: "خش نام!"

دي مشكلة! احنا مش عارفين نتعامل مع أولادنا.

الاحتواء... احتويهم! إني أنزل لمستواه، بس خلاصة الكلام: (أنزل لمستوى أفكاره)، وأتعامل بأهمية الموضوع على حسب أهميته بالنسبة له، مش أهميته بالنسبة لي أنا، وأدي له وقت، ما استخسرش فيه وقت، ده أغلى حاجة عندي.

ما أقولش، أنا مش فاضي، أنجز في الكلام يا ابني، أنا مش فاضي لك؟ لا! اتكلم يا ابني، خد راحتك، اقعد بقى، سيب أي حاجة في إيدك، ونقعد، إيه اللي حصل؟ وأقعد معاه نصف ساعة، يحكي لي، وأحكي له، وأربيه، وأنصحه، وأدي له من خبراتي. خلاص يا ابني، شبعت، آه والله كفاية، اتوكل على الله. لو في أي حاجة عايز تحكي لي، تعالَ لي، أنا قلبي مفتوح في أي وقت لك يا ابني، أي وقت تيجي، أنا صاحبك.

يعني أنا ابن أبويا كده مش هيحتاج بقى يضربه، مش هيحتاج يهزأه، مش هيحتاج يقول له: "يا ابني اسمع الكلام ده!" أبوه لو قال له أي حاجة، هيجري يعملها! صاحبك... أمه لو قالت له أي حاجة، هيعملها!

حب بقى... يعني اشتغلوا على الحب يا جماعة، اشتغلوا على الحب شوية!

يوسف عليه السلام بيتكلم بطمأنينة في موضوع خطير، طبعًا قاله: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾

هنا يعقوب عليه السلام، حسّ أن الموضوع كبير أوي أوي أوي! أولًا، هو فهم الرؤية على طول، والرؤية معناها من أخطر ما يمكن... من أخطر ما يمكن! وهو ترجمها، وعرف إن الاحدى عشر كوكب دول إخوته، والشمس والقمر الأب والأم.

سجدوا له؟ طبعًا السجود هنا تكريم، زي سجود الملائكة لآدم ليس سجود عبادة، ما ينفعش حد يسجد لحد عبادة، لكن في شرع من قبلنا كان ينفع حد عاوز يكرم واحد، يعني يقدّره أو يعبر عن احترامه له، يسجد له. لكن في ديننا، اتلغى الموضوع ده. النبي ﷺ قال: "لو كنتُ آمِرًا أحدًا أن يسجد لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجد لزوجها، وذلك لِعِظَم حقه عليها."

لكن خلاص، ما فيش حتى سجود التكريم ده، اتلغى عندنا.

يوسف عليه السلام هو كمان، طبعًا أدرك خطورة الموقف، كلام كبير جدًا... الشمس والقمر! طبعًا في اختلاف في الشمس والقمر.

يعني مين الشمس؟ ومين القمر؟

في ناس قالوا إن الشمس هي الأم، والقمر هو الأب، وناس قالوا لا، الشمس هي الأب والقمر هو الأم، مسألة فيها خلاف، وإن كنت أميل بأن الأم هي القمر، والأب هو الشمس... ليه؟

1- أولًا، النوع بدأ بالشمس مش القمر، فعادةً الأب هو اللي بيقدِّم.

2- الشمس فيها إضاءة وحرارة، والقمر فيه إضاءة بس. والأب هو اللي بيبقى عنده الإضاءة والحرارة، يعني عنده المشاعر والتربية وكل حاجة، وفيه الحزم والشدة اللي هي الحرارة. في عنده سلاح تاني، الأم عادةً يغلب عليها الإضاءة بس، اللي هي الحنية والرحمة، والشدة فيها بتبقي أقل شوية. تفسير الشمس بالأب أقرب، لاجتماع الإضاءة مع الحرارة، وتفسير الأم بالقمر أقرب، لأنها إضاءة، وحرارة أقل، أو مفيش حرارة.

3- فائدة تانية، لو قلنا إن الشمس هي الأب، هنلاقي دايمًا القمر إضاءته انعكاس للشمس، صح؟ كذلك الأب هو عمود البيت، هو نور البيت كله... لو نور! البيت كله ينور الأم تنور؟ تمام، فالأب فعلًا يقدر يصنع الأم، ويصنع بهجة البيت، وممكن يخرب عليهم كلهم! فكل ما الأب كان أكثر استنارة، كل ما الأم تستنير أكتر. يبقى الأم رد فعل يا جماعة، مسؤولية الأب مهمة جدًا يعني.

قال: ﴿وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ رَأَيۡتُهُمۡ لِي سَٰجِدِينَ﴾

أول حاجة: درء المفاسد الأول... درء المفاسد! قال: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾

خلينا الأول نتكلم عن الرؤيا وأنواعها بسرعة، وكل رؤية ممكن أعمل معها إيه؟

الرؤيا على ثلاثة أنواع، أو ما يراه الإنسان في المنام على ثلاثة أنواع:

1- النوع الأول: هي الرؤيا الحق، اللي هي من الله، وعادةً دي بتكون رؤية واضحة جدًا، تفاصيلها واضحة ومنطقية، تمام، وبيبقى فيها سكينة وطمأنينة، فدي رؤيا حق. طيب، لو هي رؤيا من الله فعلًا، تحتمل احتمالين:

- إني شُفت حاجة خير.
- أو شُفت حاجة شر.

لو شُفت حاجة خير، أعمل إيه؟ النبي ﷺ قال: "إذا رأى أحدكم ما يحب، فلا يخبر به إلا من يحب." زي ما سيدنا يعقوب بيقول ليوسف عليهما السلام: ﴿لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا﴾ عشان الحسد.

طب إذا رأى أحدكم ما يكره؟ قال: "فلا يخبر به أحد." خالص، لا يخبر أحد أبدًا، لا بتحبه، ولا ما بتحبوش، انسى إنك شفتها، ده الحل!

وأوصى ﷺ بأكثر من وصية قال: "لا يخبر بها أحد." قال: "يتحول عن جنبه الآخر." فلو أنا لسه على السرير، أغيِّر نومتي، أنام على جنبي التاني. قال: "وليستعذ بالله..." يستعيذ بالله من شرها، يقول: "نعوذ بالله من شر هذه الرؤيا"، ويتفل عن يساره ثلاثًا، ولا يُحدِّث بها أحدًا، ولا يطلب تفسيرها أبدًا.

إن من أسباب حصول الرؤيا تفسيرها، فإذا فُسرت وقعت، فلو شُفت رؤيا مش حابببها، أوعى تسأل تفسيرها أبدًا! بعض الناس بيسأل في اي منام بيشوفه، منام مش حلو، ما تحكيش لحد، واستعِذ بالله من شره، واتفل عن يسارك ثلاث، غير نومتك، وانساه بقى خالص، انساه ولا كأنك شوفته!

2- النوع الثاني: إن حاجة بتشوفها، بس هي من الشيطان، ودي في الغالب بتكون حاجة مش مفهومة، ملخبطة كده، ومحزنة، ما تعرفش تحكيها كويس، بس هي مزعجة بس.

3- وفي أحيانٍ ثالثة: حديث النفس. يعني واحد عنده امتحان، حلم بالامتحان، دي مالهاش تفسير. واحدة بكرة فرحها، نامت حلمت بفستان الفرح وجوزها. واحد عنده

عملية بكرة، نام حلم بالدكتور والعملية. وده حديث نفس، أكيد طبعًا، أي حد مشغول بحاجة، هيلاقي نفسه بيفكر فيها لوحده.

فهمنا؟

علشان كده، سيدنا يعقوب عليه السلام قال له: ﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ﴾

هنا كذا فائدة..

الفائدة الأولى: إن سيدنا يعقوب يعلم أبناءه جيدًا، يعرف أولاده كويس جدًا، بجد! ده دليل إنه مهتم بيهم كلهم، خلي بالكم، بس... بس طبعًا يوسف عليه السلام هو اللي بيُقبِل عليه أكتر، فأكيد اللي بيُقبِل عليه أكتر، بياخد اهتمامه أكتر، لكنه مهتم بيهم كلهم.

مش معنى إن ولاده مش أحسن حاجة دلوقتي انه مهملهم، لأ هو مهتم ومركز معاهم كلهم، وبيديهم اهتمام كلهم، بدليل إنه عارف شخصياتهم كويس جدًا. قال له "لا تقصص رؤياك على أخوتك فيكيدوا لك كيدا"، لأنه عارف دماغهم كويس جدًا، وعارف بيفكروا إزاي.

كده نتعلم من يعقوب عليه السلام إنه لو أنا أعرف إن فيه شخص شرير، أو بيحسدني، أو بيمكر بيَّ، فمن المصلحة إني أخفي عنه الخير اللي عندي، ما استطعت. في حاجات ما أعرفش أخفيها، طبيعتها الظهور، لكن كل حاجة أقدر أخفيها من النِّعَم، أخفيها قدر المستطاع...، بدون ما أشق على نفسي، لكن ما أروحش أقول له ابتداءً من نفسي كده، ده من الرحمة بي، لأن النفوس مش سليمة.

ما هو ممكن يحسدني.

طبعًا، أسوأ حاجة بقى إنك تنشر كل حاجة بتحصلك على الميديا! فهي لا تمييز... وهتوصل لكل الناس، فضلًا عن الشير، فضلًا عن الناس اللي بتشوفك في كل اتجاه، فاللي بيشوفك، اللي بيحبك، واللي بيكرهك، واللي عايز لك الخير، واللي عايز لك الشر، واللي بيحسدك، واللي ما بيدعيلك.

ودي طبعًا من أغبى الأمور، إن إحنا ننشر كل حياتنا الحلوة على الميديا، ويا ريتنا حتى بننشر الوحش معها! لأ احنا بننشر الحلو بس.

فطبعًا الثاني يقول لك: "ده عايش في ملك، أنت مفيش حاجة وحشة تحصل لك، فتعالى خد لك عينين تلاتة، يلا ارقد في السرير بقى!"

فأنا عايز أقول لك: أخبر به من تحب، أوعى تخبره على الميديا!! هي على الميديا هتوصل للي بتحبه بس؟ هتوصل للكوكب كله. يبقى الكلام ده يتقال كده بيني وبينك.. فيس تو فيس قدامك، مش على الميديا. نتعلم كده

قال له: ﴿فيكيدوا لك كيدًا﴾ قالها له كده عشان يوسف -عليه السلام- ما يكرهش إخوته، على اعتبار أن إخوته بشر، البشر حتى لو كانوا مش صالحين دلوقتي قد ينصلح حالهم، والإنسان غير الصالح هو ضحية شيطان وأهواء، هو مذنب برضو، بس سيدنا يعقوب بيعرفه عداوة الشيطان نفسه.

نقله نقلة أعلى، كأنه عايز يقول له: "إخوتك مش هم دول أعداؤك الحقيقيين، لأن هما ممكن بكرة يتغيروا، وعدوك الحقيقي يا بني هو الشيطان، أنت عايز تركز عداوتك؟ ركز مع الشيطان، ممكن بكرة ربنا يهدي إخوتك."

وهو حس المعنى ده من الرؤيا ، ما هم هيسجدوا ليوسف إزاي إذا كان بيحسدوه؟! لكن طالما هيسجدوا له يبقى ربنا رضي عنهم، يبقى هينصلح حالهم، فما حبش يخلق عداوة بينه وبين إخوته ويقول له: "إخوتك وحشين."

ده في أمهات بيوقعوا بين ولادهم، ده في عائلات بتوقع بين بعض، شايفين يعقوب -عليه السلام- ربى ابنه أن قلبك يبقى تمام مع إخوتك؟ مشكلتك مع الشيطان. ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾

علشان كده كان سهل عليه إنه يسامح أخوته في الآخر. قال:

﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾

يوسف -عليه السلام- عبر عن الموضوع ده في آخر القصة لما قال:

﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُ﴾

سبحان الله، تربية عجيبة!

فإذاً، أول حاجة بيوصلها يعقوب -عليه السلام- في يوسف -عليه السلام- هي عداوة الشيطان. فدي خلاصة التربية بقى، وأصلًا فيه حاجتين بس: عداوة الشيطان ومحبة الرحمن.

يوسف -عليه السلام- كل الإبداع اللي عمله في القصة ناتج عن الأصلين دول، أنه اتربى على عداوة الشيطان ومحبة الرحمن.

أدي عداوة الشيطان، اهي. طب تعالَ لمحبة الرحمن بقى، جت إزاي؟ بدأ يحببه في الرحمن بطريقتين:

1- أولًا: ذكر الإنعام.

2- ثانيًا: ذكر الصفات.

أو نقدر نسميها: ذكر النفع المتعدي اللي بيجي لك من ربنا، وذكر الصفات الذاتية لله.

لأن أي شخص أو أي شيء يُحب في الدنيا، يُحب لحاجتين لا ثالث لهما، وهما نفس الحاجتين دول:

إما لصفاته الذاتية.

أو لصفاته المتعدية.

يعني، دلوقتي هو هيقول له: (يجتبيك ربك)، دي صفة متعدية، لأن ده نعيم، إنعام متعدد، لكن لما يقول (إن ربك عليم حكيم) ، فهي صفة ذاتية في الله، بس أي حد عليم بنحبه، أي حد حكيم بيتحب.

أضرب لك مثال؟ هتفهم دلوقتي إزاي:

أنت دلوقتي بتحب الوردة ليه؟ عشان شكلها حلو، هل استفدت حاجة؟ لا، بس هي شكلها حلو. وممكن تحب صورة على الموبايل حتى من غير ما تلمسها، إزاي؟ هي شكلها حلو، دي بتتحب!

طيب، أنت في الشارع، شوفت ولد قمر، جميل، مكلبظ، خدوده حمرا ، فأول ما شوفته حبيته، ليه؟ عشان شكله، صح؟ طيب، أنت استفدت حاجة كده؟ لا.

بعدين الولد ده كبر، وطلع ذكي، حبيته أكتر، خلاص؟ برضو استفدت حاجة؟ لا، بس هو يتحب عشان هو ذكي.

بعدين الولد بقى أشطر واحد في المدرسة، حبيته أكتر. بقى مؤدب، حبيته أكتر. ختم القرآن، حبيته أكتر وأكتر. بقى بارًّا بوالديه، حبيته أكتر.

أنا لغاية دلوقتي مش مستفيد حاجة، بس كونه فيه صفات حلوة، فهو يُحب لأجل الصفات الحلوة.

طيب، الولد كبر وبقى صاحب شركة كبيرة، وأغنى راجل في المنطقة، حبيته أكتر. أنا لغاية دلوقتي ما استفدتش حاجة.

جيت في يوم من الأيام، بقيت فقير واتديَّنت، فالولد قال لي: "خلي عنك، أنت من وأنا صغير وأنت بتحبني"، وخد ده، وسدد لي ديوني كلها.

هيحصل إيه بقى؟ المحبة هتضرب فوق قوي!

هنا بدأ ينتقل من مجرد صفاته الذاتية، إلى النفع المتعدي منه إليَّ.

تخيل كل يوم يديني نفس المبلغ؟ تخيل لو وقف معايا وقفات كتير؟ تخيل شغَّلني أو شغل ولادي؟ ابنه اتجوز بنتي وأكرمها؟ يعني بدأ يجيني منه نعم. أحبه قد إيه؟ هيبقى حب رهيب! فهل ينفع في يوم أعصيه؟

ده لو قال لي أي حاجة حلال أعملها، مش ممكن أبدًا أقول له: "لأ".

راجل محترم ... ده لو ما بيعملش معايا حاجة، أنا هاتكسف منه لأنه راجل محترم!

أمال بقى لما قلت لك إنه عمل معايا إيه؟! ما أقدرش أعصيه...

عشان كده سيدنا يوسف -عليه السلام- طول القصة ثابت، ما بيتغيرش. قال:

﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾

صح؟ جبل ما بيقعش في أي معصية.

بيحب ربنا أوي، بيدعو إلى الله في السجن، رغم أنه في السجن، يقول:

﴿ذَٰلِكَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ عَلَيۡنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾

يدعو إلى الله في السجن ليه؟ عشان اتربى على المحبة.

يعقوب -عليه السلام- أصل المحبة دي من نفس الفكرتين دول:

كلموا عن صفات ربنا الذاتية، وكلموا عن نفعه المتعدي ليوسف -عليه السلام-.

قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ ، يجتبيك ربك.. يعني يختارك، يصطفيك.

وهو عرف أنه اصطفاء، وعرف أنه اصطفاء للنبوة كمان.

قال: ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ يصطفيك ، ﴿وَيُعَلِّمُكَ ﴾

خد بالك! يعقوب -عليه السلام- ما قالوش: "يا ابني أنا اللي علمتك!"

مع أنه هو اللي معلمه فعلًا، هو المعلم بتاعه، هو شيخه، هو أستاذه.

ما قالوش: إيه رأيك في تربيتي؟ "أنا ربيتك يا ابني، ولحم كتافك من خيري!"

الأب الصالح ما يعملش كده. الأب الصالح يربط أبناءه بالله.

يقول لهم: "ربنا اللي بيعلمنا وبيعلمكم، ربنا اللي بيعطيني وبيعطيكم."

يربط الولاد بالله، عشان يحبوا ربنا، عشان ما يعصوهوش بعد كده، عشان يقدر يسيبهم وهو مطمئن حتى في الخلوات.

إنما لو ربطته بيا، هيقدرني وأنا موجود، لكن لو أنا غبت؟ هيعمل اللي هو عايزه! فهمت حاجة؟

دي مشكلة ولادنا. قدامنا ملايكة. يقولك: "ابني ده متربي، ابني ما يعملش كده أبدًا!"

يا حاجة! ابنك في المدرسة مطلع مطوة، معوّر بيها واحد!

تقولك: "ابني لا، ما يعملش كده، ده أمور قوي!"

ما هو قدامك ما بيعملش حاجة! لانك ربتيه على أنه بيقدرلك انتِ ، ده أنتِ مش هتصدقي أنه بيشرب! مش هتصدقي أنه بيزني! مش هتصدقي أنه بيعمل العادة السيئة! ليه؟

لأننا ما ربيناهوش على حب ربنا. ما اترباش على الخوف من ربنا في الغيب.

قال له : ﴿ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾.. ربك!

ما قالوش "ربنا" حتى، قال "ربك"، كأنه بيعمل علاقة خاصة بين يوسف وبين ربنا.

قال له: ﴿وَيُعَلِّمُكَ ﴾ .. الله!

﴿مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ﴾ كأن النعم كتير قوي، بس هو بيقول له: "ده أنت هتوصل لتمام النعمة!" الإنسان لو النعمة بس 100%، أمال تمام النعمة إيه؟

﴿ وَيُتِمُّ ﴾ .. يعني أدرك أنه هيوصل للنبوة، ودي أعلى النعم.

لأن النعم درجات:

أني مسلم؟ دي نعمة.

أني مهتدي؟ دي نعمة كبيرة قوي.

أني أبقى من أولياء الله؟ ده كبيرة قوي قوي.

أوصل للنبوة؟ ما فيش حد بيوصل للنبوة خلاص، بعد النبي محمد ﷺ، بس لو وصل، فهي أعلى حاجة.

قال: ﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ ﴾

كان بيقول له: "النعمة مش عليك لوحدك، ده النعمة عليك وعلى أبوك، وجدك، وأبو جدك!"

﴿ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَۚ ﴾

وكأن أي نعمة للأب هي نعمة للابن، وأي نعمة للجد هي نعمة للحفيد. يعني لما جدي يكون صالح، أنا مستفيد. لما جدي كان غني، أنا استفدت. لما جدي سمعته حلوة، أنا استفدت. فكل نعمة على الأب نعمة على الابن.

شوف ربنا أنعم عليك بكام نعمة! تمام؟

﴿ وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيۡكَ مِن قَبۡلُ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ﴾

ثم ربط باسمين من أسماء الله:

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

ليه اختار "عليم حكيم" بالذات؟

خليني أرجع الأول لفايدة، وبعد كده أجي هنا وأختم.

قال له: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ﴾

يعقوب -عليه السلام- فاهم السنن! يعرف أن الاجتباء لا يأتي إلا بعد ابتلاء. فإذا اجتباك الله هبت عليك الابتلاءات فاستعد، وأحسن استقبالها.

وقيل للإمام الشافعي: "أيهما أحب إليك، أن يُمكَّن الرجل أم يُبتلى؟"

قال: "لا يُمكَّن حتى يُبتلى! لا يُمكَّن حتى يُبتلى!"

ففهم ان هيحصل إبتلاءات ويوسف -عليه السلام- هيشوف في حياته ابتلاءات جامدة جدًا عشان يوصل للمنزله ده. فلما تحصل الابتلاءات دي فـ يوسف يسأل نفسه: "ليه بيحصل معايا كده؟"

هتكون الإجابة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وحاجة تانية:

لما يحصل الابتلاء، هيسأل، والإجابة: عليم حكيم.

ولما يحصل الاجتباء والاصطفاء ويوصل للنبوة، ممكن يسأل نفسه:

"اشمعنى أنا؟ ليه مش واحد تاني من إخوتي هو اللي كان مكاني؟"

هتبقى نفس الإجابة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

ودي إجابة بتريحك في حاجات كتيرة جدًا.

زي سيدنا نوح -عليه السلام- لما سأل ربنا:

﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾

قال له ربنا:

﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾

في حاجات كتير أوي ما عندناش فيها علم، لكن يكفينا الإجابة دي:

﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

طب، يوسف -عليه السلام- طلع بتربية قوية! عداوة الشيطان، محبة الرحمن.

ودي اللي صنعت يوسف -عليه السلام-.

عايز تعرف الصناعة دي بانت إمتى؟ بانت في كل مشهد ليه! بانت لما كان في السجن، وهو بيحبب المساجين في ربنا.

رغم أنه في السجن، كان ممكن يقول: "ده ربنا اللي عمل فيا كده!"

لكنه كان شايف أن ربك عليم حكيم، وشاف أن ده خير إن شاء الله، وشاف أن ربنا جميل!

قال: ﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ ﴾

قال للمساجين: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾

قدر يقاوم شهوة النساء اللي هي محبوبة لأي راجل، بحبه لله.

قال: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾

قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾

تعالى بقى في آخر القصة، شوف التأثير الرهيب لتربية يعقوب على يوسف!

رغم أن اللقاء الذي حصل بين يعقوب ويوسف في الآخر كان بعد أربعين سنة، قال:

﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ﴾

ده بعد أربعين سنة ، أول مرة يقابله من أربعين سنة من المجلس ده، لكنه لم ينسَ أي كلمة حصلت في القعدة الودية دي. علشان كدا بقولك، المجلس الخاص مع أولادنا هو الذي يثبت، لكن الكلام العام يُنسى. قال:

﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾

انظر، قال "ربي" ولم يقل "ربك".

﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾

لم يقل "أدخلني السجن" أبدًا مع الله.

﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾

الذي هو ماذا؟ لماذا قال "إنه هو"؟

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ﴾

هذه هي خلاصة الحلقة الأولى، كيف صُنع يوسف عليه السلام. فوائد إيمانية تربوية عقدية.

أسأل الله أن نكون قد حققنا الغرض المقصود من الآيات دي.

ان شاء الله نلتقي في المرة القادمة على خير.

نفعنا الله وإياكم.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك